

٢٤١

أو الفرار ، باسم الحرية، من جهد البناء الفنى وعناء المكابدة الخالقة ، والتحلل من القوانين والضوابط الفنية الجمالية ، فمثل هذا التحلل إلى جانب عدوانه على الحرية ، يعطل مهمة الأدب الكبرى فى التأثير على وجدان الجماعة ، وينزع منه زمام القيادة المعنوية التى تعتمد عليها الأمة فى حماية وجودها وحراسة مثلها .

ومن الجانب الموضوعى ، لا يجوز أن ننسى أن حرية الأديب هي حرية فرد فى مجتمع وليست حرية فرد فى الخلاء . . .

وكما أن ممارسة الأديب لحرية كاملة ، لا تنفى بحال ما التزامه بموازين الفن . فإنها لا تنفى كذلك مسؤوليته عن سلامة المجتمع الذى ألتى إليه زمام القيادة الوجدانية .

ويقال هنا ، إن الأديب بشر غير معصوم ؛ يجوز عليه ما يجوز على البشرية من خطأ وزيف وضلال ، فهو قد يخون الأمانة ويبيع ضميره . كما قد يسىء استغلال قلمه لمففعة شخصية على حساب أمته .

وهذا حق . .

لكن يقال معه إن الأديب إذا خان قومه ، تسقط عنه صفته الإنسانية ، لا الأدبية فحسب ، لأن ارتباطه بالجماعة هو مقياس إنسانيته، إذ هو ليس إنساناً إلا بقدر ما هو مدنى ، مرتبط بالجماعة غير منفصل عنها .

ويقال معه أيضاً ، إن هذه الخيانة يقع إصرها على صاحبها فرداً ، دون أن يمس ذلك شرف الحرية وكرامة الأدب ، كما أن خيانة جندي يبيع سيفه لأعداء وطنه ، تهدر حقه فى الحياة ، دون أن تمس شرف الجندي أو تصمها بالعار !

خلاصة الموقف أن للحرية فى الأدب حرمتها وقداستها ، بحيث يُعد أى عدوان عليها عدواناً على الإنسانية . لكن بشرط أن يتحرر مفهوم الحرية فلا يختلط بالتحلل والابتذال ، ولا يلتبس بالإباحية الضالة والفوضى العشواء !

* * *

والنظر فى الأدب الثورى ، كفيلى بأن يجلو مفهوم الالتزام على حقيقته : مسؤولية ضمير وأمانة كلمة وتبعة حرية . . .

وهذه قضية تستحق أن نفردها بحديث خاص، يفحص فيها بعض حقاها من العناية والدرس .